



تردد في الفترة الأخيرة نقلًا عن الأسد: خبر مفاده أن الوضع الداخلي متين وأن الحرب في سوريا حرب إعلامية وسطعية، وأنه عندما يقرر الأسد دخول حرب حقيقة فهو قادر على إنهائها في أسبوع واحد فقط، لكنه حريص على شعبه، وحريص على إنقاذه من المؤامرة التي قادوه إليها دون أن يدرى.

طبعاً هذا الخبر كان بمثابة رد على خبر آخر مفاده أن إعلان ساعة الصفر في دمشق قاب قوس أو أدنى ونهيب بالمواطنين المحافظة على الوثائق والمستندات التي تثبت الملكيات الخاصة داخل مدينة دمشق؛ ليصار إلى إرجاع الحقوق إلى أصحابها بعد التحرير.

هذه العبارات من التصعيد والتصعيد المضاد تُدخل سوريا في ملاحة لا يعلم نهايتها إلا الله.

فالجميع يعلم أن الثورة مستمرة حتى تحقيق مطالب الشعب الذي قام من أجلها؛ سواء استخدم الأسد قدرته أم لم يستخدمها، وأن تأثير اللاعبين سواء كانوا داخليين أو خارجيين لن تؤثر على النتيجة النهائية، لكنها تؤثر على طول أو قصر فترة الحسم من جهة وعلى حجم الخسائر من جهة أخرى، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، لأن هؤلاء في النهاية يحاولون تأمين مصالحهم قبل زوال النظام.

لذلك هم يحاولون الضغط على الثوار بغية تحقيق تلك المصالح، وأهمها وأكثرها إلحاحاً اليوم ما يتعلق منها بالتخلي والقضاء على المجموعات الإسلامية المنضوية تحت عباءة الثورة، والتي أثبتت جداره وفعالية خلال الفترة الماضية. وبالتالي الإيذان باستخدام أسلحة محرمة وغير تقليدية ربما يزيد من الخسائر ويطيل المعاناة لكنه لا ينهي الثورة أبداً، وإنما يشكل ضغط متباين جزء منه موجه نحو الفريق السياسي المتمثل بالائتلاف الوطني السوري؛ الذي سارع الغرب إلى الاعتراف به بغية تحقيق المعادلة المطلوبة مع أركان العصابة الأسدية، والجزء الآخر سوف يرتد على المجتمع الدولي من خلال تحمله مسؤولية جرائم الحرب نتيجة سقوته على إبادة شعب بأسلحة محرمة دولياً.

بالأمس علقت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية على التحذيرات التي أطلقها الرئيس الأمريكي باراك أوباما للنظام السوري، واعتبر خلالها أن إقدام النظام السوري على استخدام الأسلحة الكيماوية لقمع المعارضة في سوريا خط أحمر، موضحة أن تلك التحذيرات قد لاقت انتقادات شديدة من قبل العديد من المحللين والمتبعين للمشهد السياسي في سوريا. واعتبروا أن تحذيرات أوباما قد اقتصرت فقط على إقدام الرئيس السوري بشار الأسد على استخدام الأسلحة الكيماوية، وهو ما رأه البعض تصريحاً من قبل الإدارة الأمريكية للنظام البعثي في سوريا للاستمرار في محاربة المعارضة، باستخدام الدبابات والطائرات الحربية وغيرها من الأسلحة التقليدية".

لأن أمريكا تدرك أن الأسد ربما يراهن على استخدام هذه الأسلحة لحسن المعركة في النهاية. وعلى الرغم من أن مسؤولي إدارة أوباما قد أكدوا أن "تصريحات الرئيس الأمريكي كانت تهدف في الأساس إلى تنكير الأسد ونظامه بأن الصبر الأمريكي قد بدأ في النفاد من جراء العنف المتزايد في سوريا"، حسب واشنطن بوست. وطبعاً هذا التأكيد جاء مجازياً للحقيقة الممارسة على الأرض، فالنظام أصلاً لا يحتاج إلى رسائل علنية من أمريكا كي يستمر في القتل والتنكيل ناهيك عن رسائل التطمئنات المسرية من هنا وهناك؛ وناهيك أيضاً عن الضغوط الممارسة على المعارضة من خلال تأجيل قرار تزويدها بالسلاح المطلوب حتى هذه اللحظة. لذلك فالحقيقة ليست كما قال الخبير الأمريكي في شؤون الشرق الأوسط روبرت ساتلوف بأن تصريحات أوباما الأخيرة حول سوريا، صياغتها لم تكن موفقة على الإطلاق.

بل إن صياغتها ومدلولاتها ومقاصدها لم تكن موفقة ولم تكن حسنة النية أبداً.

وربما سبب ذلك يعود إلى المخاوف الأمريكية من سقوط هذه الأسلحة الغير تقليدية في أيدي الجماعات الإسلامية (الثوار) قبل استخدامها من قبل الأسد؛ والتي لن تحسم المعركة في النهاية لكنها ستحسم التدخل الأجنبي في سوريا والمؤكد أن هذا التدخل لن يكون في مصلحة الثورة.

فالزمن الذي يحتاجه كلاً الطرفين لحسن الصراع يبدو أن عدده بيد أطراف أخرى تقيسه على ساعة صهيونية استبدلت مؤشر الساعات بمؤشر الشهداء؛ ومؤشر الدقائق بمؤشر انهيار الجيش؛ ومؤشر الثواني بمؤشر الدمار. أما عداد الثوار فمؤشرات ساعته استبدلت بمؤشرات الكرامة والحرية والإرادة. وفوق كل ذلك مؤشر قدرة الله (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف [21].

المصادر: